



في الخطاب الأخير للأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله، ضمرت الإعلانات المتكررة عن ضرورة الإصلاحات في سوريا لمصلحة التأييد المطلق لنظام الرئيس بشار الأسد.

يتجاوز هذا الضمور الاستفزاز الذي يثيره لدى السوريين الذين ينالون على مدار الساعة من التدمير والقتل على يدي هذا النظام إلى تأكيد الارتباط العضوي بين طبيعة الحكم في سوريا وظاهرة «حزب الله» في لبنان، وإن كان شعار «المقاومة» حالياً هو الغطاء الذي يُقدم لتبرير هذا الارتباط.

كان لافتاً أن يشدد نصر الله على أنه منهمك في القضايا الكبرى في المنطقة، أي ما يتعلق بإيران ومصير الحكم السوري، تاركاً القضايا الصغيرة في لبنان ليتسلى بها خصومه الداخليون، من حكومة ونقابات الخ... وفي هذا الاهتمام تنكشف، وربما للمرة الأولى بهذا الوضوح، طبيعة العلاقة التي تجمع طهران والنظام في دمشق و «حزب الله». وكان لافتاً أيضاً أن زعيماً شيعياً لبنانياً هو رئيس البرلمان وحليف «حزب الله» الرئيس نبيه بري حذر، في اليوم التالي لخطاب نصر الله، من انعكاسات التقسيم في سوريا على لبنان. ودعا بري إلى تحصين الساحة الداخلية من أجل تفادي الارتدادات السلبية عليها، اي الانعكاسات على طبيعة علاقات الطوائف اللبنانية في ما بينها.

تحدث نصر الله عن الدور السوري في تسليح «حزب الله» ودعمه بالصواريخ خلال حرب تموز، لكنه لم يشر إلى أن النفوذ الكبير الذي حصل عليه هذا الحزب، في الحياة السياسية اللبنانية وداخل الطائفة الشيعية، لم يكن على النحو الذي نعرفه لولا قدرة الضغط الاستثنائية التي مارسها النظام السوري على السياسيين اللبنانيين، وإرغامهم على الوقوف خلف «حزب الله»، منذ اطلاقته على يدي الرئيس الراحل حافظ الأسد.

ويعتقد بأن هذا الدور السوري في رعاية «حزب الله» هو الخسارة الفعلية للحزب وليس الصواريخ السورية الصنع.

لم يقلب «حزب الله» ميزان القوى الحكومي في لبنان، عبر اطاحة حكومة سعد الحريري، بالصواريخ وإنما بالنفوذ السوري على سياسيين لبنانيين غيرروا مواقفهم بفعل الضغط من دمشق.

والاليوم، يتربّح النّظام السّوري الذي يعتقد بأنه لن يكون قادرًا، بعد الان، على حكم سوريّة الموحدة. وهو فشل في إنهاء الحركة الاحتجاجية، رغم ما يملّكه من ترسانة عسكريّة وصواريخ.

يعني ذلك أن الترسانات القتالية، مهما كانت متقدّرة لا تحمي نظاماً استبدادياً وقهرياً. وهذه خلاصة ينبغي أن يتوقف عندها «حزب الله»، بصفته تنظيماً شيعياً. فهو، رغم التهديد والوعيد والقمصان السود، لن يكون قادرًا على الاستمرار في نهجه الحالي، عندما يسقط النظام في دمشق.

سقوط الحكم السوري سيحرر كثيرين، في لبنان وفي الطائفة الشيعية خصوصاً، من عبء الضغط السوري، بما يعيد تركيب التحالفات على قواعد مختلفة. وعندها لن يكون «حزب الله» قادرًا على الحفاظ على الاستقطاب الحالي حوله، ولن تكون الصواريخ مفيدة، حتى لو جرى تغليفها بالنزاع مع إسرائيل.

ستترتب على سقوط الحكم في سوريا تغييرات كبيرة، ليس فقط في النهج السياسي للحكم السوري المُقبل أزاء لبنان وشئونه وبما لا يتناسب مع مصلحة «حزب الله»، وإنما أيضاً على مستوى المنطقة أيضاً. بما يعيد طرح أسئلة حول الأدوار التي انتهت إليها الغزو الأميركي للعراق وتمدد النفوذ الإيراني.

وبمقدار ما يسرع «حزب الله» في الانخراط الجدي كطرف شيعي في الحياة السياسية اللبنانيّة والتخلّي عن استراتيجية التي تربطه بالنظام السوري، بمقدار ما يخفّف من وطأة التغييرات المُقبلة على الشيعة في لبنان. أما الاستمرار في توظيف فائض القوة، فسيكون عرضة لاختبار صعب بعد انهيار التركيبة القائمة في دمشق حالياً.

المصدر: أخبار الثورة السورية

المصادر: